خطبة صلاة الخسوف ١٤ صفر ١٤٢٩هـ

للشيخ د. خالد الغامدي

بعنوان: وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا.

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياته، وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد: أيها المسلمون: لقد كسفت الشمس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في يومٍ شديد الحر، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته فزعًا مذعورًا، وتوجّه إلى مسجده الشريف، وثاب النّاس إليه، ثم نودي بأن الصلاة جامعة؛ فصلّى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً طويلةً جدًا، حتى إن بعض صحابته الكرام، غُشيَ عليهم،. وجعلوا يخرون، ثم خطب فيهم خطبةً بليغةً مهيبةً جليلةً صحح فيها بعض المفهومات المغلوطة، وذكّر فيها ووعظ، وزجر فيها وأنذر، وذكّر فيها عباد الله ورغبهم وخوّفهم عليه الصلاة والسلام، وبالنظر في الروايات الواردة الصحيحة في خطبته صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الكسوف؛ نجد أن هذه الخطبة العظيمة قد حوت معاني جليلة، ودلالات عميقة، وعالجت بعض قضايا عقيدة وأخلاقية واجتماعية، نذكر منها ما تيسر فيها في هذه العُجالة.

بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته العظيمة أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل وإنهما لا ينخسفان ولا ينكسفان وأن انكسافهما وانخسافهما، لا يُفسّر تفسيرًا طبعيًا، فلكيًا، كونيًا، ظواهريًا، فقط ولا يُفسر كذلك بموت أحدٍ عظيم أو حياته.

بل التفسير النبوي الصحيح لهذه الآية العظيمة أن كسوف الشمس وخسوف القمر؛ آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده

إنذارٌ للبشرية جمعاء لتُصححَ مسارها، وتُعدّل طريقها، وتعودُ لخالقها ومولاها سبحانه وتعالى، وفي ذلك أيضًا ردٌ وإبطالٌ لاعتقاد كثير من الناس أن للكواكب تأثيرًا لأحداث الأرض، وكذلك بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته العظيمة، التصرف الصحيح إذا حصل الخسوف والكسوف وهو أن يفزع الناس إلى الصلاة

والذكر والدعاء والاستغفار والصدقة والإعتاق – أعني إعتاق المماليك والعبيد –؛ حتى ينجلي الكسوف والخسوف، هذا هو التصرف الصحيح، هذا هو التصرف النبوي الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا التصرف النبوي الشريف خالفه كثير من الناس اليوم، فبعضهم ينظر إلى الكسوف والخسوف على أنه فرصة للنظر والتسلية فقط، وبعضهم يعرض عنه ولا ينظر إليه ويغفل عن هذه الآية العظيمة ولا يتفكر فيها، ولا يتأمل في الحكمة التي من أجلها وقع هذا الكسوف والخسوف، وقد ذكر بعض أهل العلم أن من حكمة وقوع الكسوف والخسوف تقديم نموذجٍ لما سيحصل يوم القيامة – نسأل الله العافية والسلامة – هذا هو التصرف الصحيح. كثيرٌ من الناس اليوم وكثيرٌ من البشرية تعيشُ غفلةً عظيمة، غفلةً كبيرة، غفلةً عن الله عز وجل وعن الدار الآخرة، وكذلك أيها الإخوة، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته العظيمة أنه توجد انحرافات وأخطاء وهذه الانحرافات والأخطاء والذنوب هي سبب لغضب الربّ سبحانه وتعالى، فيغار عز وجل؛ فيُرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته أن الله عز وجل يغار من عبده أن يزني، ويغار إذا زنت أمته، وذكر الزنا في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو إشارةٌ إلى بقية الكبائر والمحرمات، ولكن تخصصيه بالذكر في هذه الخطبة العظيمة إشارةٌ إلى أن الزنا – نسأل الله العافية والسلامة – من أشد الكبائر إفسادًا للحياة العامة والأخلاقية والاجتماعية في المجتمع، ولذلك يغضب الربُّ عز وجل فيغار سبحانه وتعالى فيرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا.

وفي رؤيته صلى الله عليه وسلم أن أكثر أهل النار هم النساء وأن سبب أكثريتهم في النار أنهن يكفرن العشير ويكفرن الإحسان وفي هذا بيانٌ وإشارة لأهمية العلاقات الزوجية وأن دوام هذه العلاقات حفظٌ للمجتمع، وأمنٌ لهذا المجتمع. وكذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم للمرأة التي حسبت تلك الهرّة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض.

في هذا الأمر، في هذا الخبر الذي أخبرنا به النبي إشارةٌ أيها الأخوة إلى ضرورة شيوع الرحمة بين أفراد المجتمع لأن الله عز وجل يُعذّب من لم يرحم الحيوان فكيف بمن لم يرحم إخوانه المسلمين؟

ما حاله عند الله عز وجل ؟ من لم يرحم إخوانه المسلمين جديرٌ أن يُعذّب في النار – نسأل الله العافية والسلامة – وكذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم لعمرو بن لُحي الخزاعي يجرُّ قُصبه في نار جهنم لأنه من أول غيّر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأول من سيّب السوائب.

وفي هذا الخبر الذي أخبرنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم في رؤيته لعمرو بن لحيّ في نار جهنم إشارةٌ إلى أن تغيير المفهومات الصحيحة للأمة وإفساد عقيدتها وبثّ الأفكار المضللة والانحرافات والآراء والأهواء الضالة وخاصة بين فئة الشباب أن هذا ذنبٌ عظيم يغضب الله منه فيغار؛ فيرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا. وكذلك أيها الإخوة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته العظيمة أنه رأى الجنّة ونعيمها، ورأى النّار وأهوالها، وأخبر أن الناس يُفتنون في قبورهم مثل قريبًا أو مثل فتنتهم بالمسيح الدجال، وأنهم يُسألون في قبورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ما علمهم به؟ ما علمهم بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن الموفق فإنه سوف يجيب " هو محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى " وأما الكافر والمنافق والمرتاب " لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته " هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وفتنة القبر

من أعظم محرّكات القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأنها من أعظم وسائل الثبات على دين الله عز وجل والاستمرار والدوام والثبات على الحق في هذه الحياة، وأن نسيانها والغفلة عنها؛ سببٌ لضعف الإيمان، وسبب لوقوع كثير من الناس في الذنوب والمعاصي والمخالفات والمنكرات التي تُغضب الله عز وجل فيغار سبحانه وتعالى فيُرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا.

أيها المسلمون: سؤال البشرية كلّها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما علمهم به. هذا السؤال العظيم أيها الإخوة دليلٌ باهر على فضل هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومكانته العظيمة عند الله ومنزلته الرفيعة ومدى احتفاء الله به واحتفاله به صلى الله عليه وسلم ، وأن الله عز وجل أوقف البشرية كلها حتّى تؤمن بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وتُصدّق به، فهل يعي ذلك من يتجرأُ على مقام النبوة؟ بالسخرية والاستهزاء ؟ وهل يرعوي من يفعلُ ذلك ؟ وهل تفهم البشرية كُلّها أن الله عز وجل لا يقبل من أحدٍ صرفًا ولا عدلًا حتى يؤمن بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتّى يُصدّق به رسولًا ونبيًا من عند الله عز وجل.

أيها الإخوة : خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الكسوف خطبةٌ عظيمةٌ جليلةٌ مهيبةٌ بليغة، مليئة بالدروس والعبر والحِكم، والدلالات العميقة وما ذكرناه فيه كفاية لضيق الوقت، والله عز وجل هو الموفق والمعين

وصلى الله وسلّم وبارك على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.